



مذريعية

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

www.almadasupplements.com

العدد (5108) السنة التاسعة عشرة - الأربعاء (19) كانون الثاني 2022

مذريعية  
m a n a r a t

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة للإعلام والثقافة والفنون



# شوقي ضيف

حارس الأدب العربي

# شوقي ضيف عالم موسوعي دافع عن اللغة معيدا مجد البصرة

محمد فراج النابي

د

في عام ١٩٣٠ أصدر الدكتور طه حسين قراراً بقبول طلاب المدرسة التجهيزية في كلية الآداب التي كان عميدها حينذاك، تقدم الطالب أحمد شوقي ضيف (اسمه المركب)، القادم من إحدى قرى محافظة دمياط بشمال مصر، لقسم اللغة العربية، وكان يعد نفسه لامتحان لدخول مدرسة دار العلوم وبعدها صار هذا الطالب الأول على دفعته، لتشاء الأقدار بعدها أيضاً فيرأس قسم اللغة العربية الذي ترأسه طه حسين من قبل، ثم مجمع اللغة العربية ليكون آخر منصب ظل فيه لمدة تسع سنوات حتى رحيله في ١٤ مارس ٢٠٠٥، اللاتفت أنه لم يخلف طه حسين في مناصبه، وحسب، بل أخذ عنه دأبه وإصراره على البحث وإن فاقه في غزارة إنتاجه.

د

على مبادئ القرية

كان مولده في ١٣ مارس ١٩١٠، بمبث الفرحة والسرور لأسرته؛ حيث حصّد الموت ولدين قبله، فاهتمت به الأسرة واعنت برعايته، خاصة الأم التي أثرت أن تسميه اسماً مركباً (أحمد شوقي) تيمناً باسم الشاعر الأكبر، وقد كان لها ما أرادت، فبلغ شأواً شوقي في الشهرة والصيت. نشأ على مبادئ القرية، ونهل من ملامحها الجمالية؛ حيث تشكل وعيه من مناظر الريف الخلاب، بنخله السامق وأجنحته العالية من السعف الأخضر، ومناظر الحشائش كما تردت على أذنيه الأغاني الريفيّة السانجة، والقصص الخرافية التي تقولها الجدات للأطفال.

في سن السادسة ألحقه والده بالمدرسة الأولية في القرية، وعند التاسعة انتقل والده إلى دمياط، فرأى في دمياط عالماً غريباً وجديداً على عقله، الذي لم يألف ما رأى من قبل.

وفي دمياط عهد به والده إلى أحد محفظي القرآن، المشهود عنهم الشدة في التحفيظ، وعنده حفظ القرآن وأتمه. ثم التحق بعد ذلك بالمعهد الديني في دمياط، وفي هذا المعهد بدأ وعيه يتشكل، فقرأ في كتب النحو ومتونه، ثم كتب الفقه الشافعي ومتونه وشروحه وشروح الشروح المسماة بـ "الحواسي" بالإضافة إلى قراءته للمقالات في الصحف، خاصة صحيفتي البلاغ والسياسة، فقرأ العقاد، وهيكل، وطه حسين، والرافعي. كان لقراءته لكتابات المقالات في السياسة والبلاغ الأثر الكبير في توجيه اهتمامه للالتحاق بمدرسة دار العلوم (كلية دار العلوم الآن) وبالفعل أخذ يعد نفسه للالتحاق بالمدرسة التجهيزية التي تعد لدخول المدرسة وانتظم في الدراسة بها، حتى سمع بقرار طه حسين بفتح قسم اللغة العربية بكلية الآداب بقبول طائفة من خريجي المدرسة التجهيزية، فكان من ضمن الطلاب الذين التحقوا بكلية الآداب عام ١٩٣٠ وفي الآداب شغف بمحاضرات أمين

الخولي أستاذ البلاغة والتفسير، وأحمد أمين أستاذ الحياة العقلية الإسلامية ومصطفى عبدالرزاق أستاذ الفلسفة، وعبد الوهاب عزام أستاذ الأدب الفارسي. تخرج في كلية الآداب عام ١٩٣٥، وعين محرراً بمجمع اللغة العربية بتوجيه من أستاذه أحمد الإسكندري إلى جانب دراسته العليا وإعداده لأطروحة الماجستير، وفي عام ١٩٣٧ عين معيداً في كلية الآداب بفضل أستاذه طه حسين، وحصل على الماجستير عن موضوع (النقد في كتاب الأغاني) بإشراف أستاذه، وبعدها الدكتوراه التي جاءت بعنوان (المذاهب الفنية للشعر العربي في القرن الرابع الهجري) عام ١٩٤٢، وترقى في المناصب داخل القسم حتى صار رئيساً لقسم اللغة العربية.

كتابه (المدارس النحوية) ينسب شوقي ضيف الفضل فيه إلى أصحابه، بعد أن توطأ الدارسون إلى الزعم بأن أبا الأسود الدؤلي هو واضع مبادئ النحو العربي. فيكشف شوقي ضيف الحقيقة، مبرهنًا على أن الخليل بن أحمد الفراهيدي هو واضع علم النحو، بل هو المؤسس الحقيقي لمدرسة البصرة

الطالب والأستاذ

دافع الأستاذ طه حسين عن الثقافة العربية بتحريرها من الجمود، داعياً للتجديد العقلي، مما أثار عليه المعارك، التي وصل مداها إلى تكفيره، كما حدث بعد نشره كتاب «الشعر الجاهلي» سنة ١٩٢٦، أما التلميذ شوقي ضيف فقد أخذ على عاتقه مهمة الدفاع عن التراث العربي وهويته الثقافية. ومن أجل هذا وظف كتاباته لدحض دعاوى المستشرقين والحاقدين في الهجوم على العربية وتراثها الأصيل، متسلحاً بمنهج علمي رصين يركز على «التعمق والاستقصاء والبعد عن الأخذ بالأحكام المتسرعة، وتقنييد الآراء الباطلة وصولاً إلى الحقائق العلمية وكشفها». وقد انبرى للدفاع عنها في أكثر من مؤلف.

الغريب أن أول مقالاته كان في الدفاع عن أستاذه طه حسين بعد أن تمت مهاجمته لما كتبه عن الشاعر الفرنسي المتفلسف «بول فاليري»، وقصديته «المقبرة البحرية». أما ثورته وغيرته على التراث العربي فصاعت في الجزء الخاص بـ «عصر صدر الإسلام» من موسوعته «تاريخ الأدب العربي»، حيث انبرى بالرد على المقولة الباطلة التي روجها المرجفون عن كون الإسلام لم يتمخض صدره إلا عن أثر طفيف، ومُعدّد الفاعلية في أشعار المخضرمين.

هكذا وجد نفسه يدافع ضد هذه الدعاوى الباطلة، مُقنّداً أكاديمياً بالأسانيد والدلائل من أشعار المخضرمين، ومن النثر الفني البديع الذي تجلى فيه جوهر الرسالة، وإلهامات القران، كما تصدى في كتابه «التطوير والتجديد في الشعر الأموي»، لأباطيل المستشرقين بأن «الشعر في عصر بني أمية لم يأت بجديد يختلف عن العصر الجاهلي، وأن التجديد لم يظهر إلا في العصر العباسي» يقوله «إن التمسك بالتأويل والأصول التقليدية لم يمنع الشعراء من الاستجابة لإفرازات العصر من جديد وتطور بل إن العرب واكبوا واستوعبوا ثم عبروا عن التطورات الجديدة التي لحقت بالحياة العربية في شتى الأمصار»، ثم يختم بقوله «إن التجديدات من صنع العنصر العربي وليست من ابتكارات الموالي». لكن يمثل دفاعه عن الشاعر أحمد شوقي في كتابه «شوقي شاعر العصر الحديث» مفارقة تكشف عن روح العصر ومرونته الفكرية الذي عاش فيه، فقد أوقف الكتاب للدفاع عن شاعرية شوقي، وما لحق به من عيب، وصفه بصفات هو براء منها، وفي معرض دفاعه هاجم أستاذه الدكتور طه حسين وكذلك العقاد، حيث ذكر أن في رأيهم «تجدد مُسرف وطن مُجحف في شاعرية شوقي» ومع هذا فقد منحاه عن هذا الكتاب جائزة الدولة في عام ١٩٥٥. فالأصل أنه كان مهتماً بتوحي وجه الحقيقة وحدها، ليقدم أحمد شوقي في الإطار الذي يستحقه شاعراً غنائياً وروائياً وناثراً.

ضد التعصب

ويمثل كتاب «عالمية الإسلام» صورة واضحة تبلور فكر شوقي ضيف في الدفاع عن الإسلام، مما روجّه بعض المستشرقين وما اشتبهوا به من عداوات وتهم جاهزة تصلق بالإسلام، فقد أظهر في هذا الكتاب اتعايش الفكري بين المسلمين وغير المسلمين بفكر قويم، حيث استطاع الإسلام - في نظره - أن يُحدث امتزاجاً قوياً بين المسلمين وغيرهم، مما حداً بالكثرة الكثيرة من شعوب الأمم المفتوحة باعترافه عن يقين وصدق.

أوضح ضيف دعوة الإسلام إلى العلم، ورأى أن الإسلام لم يكن عائقاً للعلم وحرية، ورد عليهم بأن الإسلام عائق العلم منذ أول آية نزلت «اقرأ»، وأوضح أن التعليم بالقلم غير مُقيد بنوع خاص من العلوم التي أسبغ الله معرفتها على الإنسان، وفي نهاية الكتاب أكد على أن الإسلام دين العدالة والتسامح؛ ليرد على الذين يرددون أن الإسلام دين التعصب والإرهاب.

وفي كتابه «المدارس النحوية» استطاع أن ينسب الفضل إلى أصحابه، بعد أن توطأ الدارسون على الزعم بأن «أبا الأسود الدؤلي» واضع مبادئ النحو العربي. فيكشف الدكتور شوقي ضيف الحقيقة، ويرد الحق لصاحبه، مبرهنًا على أن «الخليل بن أحمد الفراهيدي» هو واضع علم النحو، بل هو المؤسس الحقيقي لمدرسة البصرة.

وفي نفس الكتاب يدافع عن المدرسة النحوية المصرية بريادة «ابن هشام» حيث وصفها البعض بأنها «مدرسة تقليد واتباع» ورد عليهم بأنها «مدرسة اجتهاد وإضافة». ومن جملة آرائه في الدفاع عن اللغة العربية والشعر ما قاله «لا توجد أمة تنازلت عن لغتها مثل اللغة العربية، حيث يتم التدريس بلغات أجنبية في جامعتها». وتظل فكرة العالم الموسوعي في العصر الحديث مُتخفية، ولم يعد لها ذكر سوى صدى العصور السابقة، إلا أن إسهامات شوقي ضيف، بامتياز، تنسبه إلى هذه العصور. فقد أثير المكتبة العربية، بكتابات وصل عددها إلى ستين مؤلفاً، عالج فيها ألواناً مختلفة من المعارف والعلوم ويكفي شوقي ضيف فخراً موسوعته الرائدة «تاريخ الأدب العربي» التي جاءت في تسعة أجزاء، طاف فيها بعصور الأدب منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث وما بينهما، كما تعددت إسهاماته الإبداعية فشملت الشعر والتراجم، وقد وصل عدد ما ترجم إلى عشرة آلاف شاعر كما يقول الدكتور (محمود فهمي حجازي) أحد تلامذته، وقد اعتمد على المنهج النقدي التاريخي، الذي أخذه عن أستاذه طه حسين.



الأستاذ طه حسين يدافع

عن الثقافة العربية بتحريرها من الجمود، داعياً للتجديد العقلي، مما سيثير عليه المعارك، التي وصل مداها إلى تكفيره، كما حدث بعد نشره كتاب «الشعر الجاهلي» في العام ١٩٢٦، أما التلميذ شوقي ضيف فيأخذ على عاتقه مهمة الدفاع عن التراث العربي وهويته الثقافية.

تراث العالم

تعددت إسهامات ضيف الإبداعية فشملت الشعر والتراجم والتفسير، وكتب التحقيق والبلاغة والنقد، ومن هذه الكتابات: التطوير والتجديد في الشعر في العصر الأموي، والفن ومذاهبه في الشعر العربي، والفن ومذاهبه في النثر العربي، والغناء في مكة والمدينة، والبلاغة تطور وتاريخ، والشعر العزري، ومن كتب التراجم، البارودي رائد الشعر الحديث وشوقي شاعر العصر الحديث، وابن زيدون ودراسات في الشعر العربي المعاصر الذي تناول فيه شعراء عشرين أمثال حافظ إبراهيم، إسماعيل صبري، أحمد محرم، عبدالرحمن شكري، معروف الرصافي، خليل مطران، إلياس أبو شبكة، إيليا أبو ماضي، جميل صدقي الزهاوي، علي محمود طه، وأبو القاسم الشابي، وغيرهم.

كما كان له دور كبير في الإشراف على تأسيس أقسام اللغة العربية في الجامعات العربية، بل الإسهام في إنشاء الجامعات نفسها. وعبر مسيرته العلمية الحافلة تدرج في المناصب داخل المجمع اللغوي من محرر إلى عضو إلى أمين عام ثم رئيساً له طوال تسع سنوات حتى رحيله عن عمر يناهز الاربعة والتسعين عاماً، في ١٤ مارس ٢٠٠٥ بعد أن خلف ترأثاً شامخاً، ومبادئ سامقة في وجدان كل من قرأ لأستاذ شوقي ضيف، أو جلس معه، أو تلمذ على يديه مباشرة أو من خلال تراثه الكبير.



# شوقي ضيف.. الرائد والاستاذ

د. يسري عبد الغني

ولد أحمد شوقي عبد السلام ضيف ببلدة أولاد حمام محافظة دمياط في ١٢ من يناير سنة ١٩١٠م، وتعلم في المعهد الديني بدمياط والزقازيق فتجهيزية دار العلوم فكلية الآداب بجامعة القاهرة. وتوفي في ١١ مارس ٢٠٠٥. في عام ١٩٣٥م حصل على ليسانس الآداب بترتيب الأول، فدرجة الماجستير بمرتبة الشرف سنة ١٩٣٩م وكان موضوعها (النقد الأدبي في كتاب الأغاني للأصفهاني)، ثم حصل على درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الممتازة ١٩٤٢م وكان موضوعها (الفن ومذاهبه في الشعر العربي) بإشراف الأستاذ الدكتور طه حسين. عمل محرراً بمجمع اللغة العربية ثم عين معيداً بكلية

الآداب في جامعة القاهرة سنة ١٩٣٦م فمدرساً سنة ١٩٤٣م فأستاذاً مساعداً سنة ١٩٤٨م فأستاذاً لكرسي آداب اللغة العربية في سنة ١٩٥٦م ف رئيساً للقسام سنة ١٩٦٨م فأستاذاً متفرغاً عام ١٩٧٥م فأستاذاً غير متفرغ. انتخب عضواً بمجمع اللغة العربية سنة ١٩٧٦ فأميناً عاماً له سنة ١٩٨٨م فنائباً للرئيس ١٩٩٢م ف رئيساً للمجمع ولاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية ١٩٩٦م من إنتاجه العلمي: ألف سلسلة كتب عن (تاريخ الأدب العربي) شملت تاريخه في مختلف عصوره وأقاليمه (في عشرة مجلدات)، وله أكثر من أربعين كتاباً في الدراسات القرآنية والأدبية والنقدية والبلاغية مع بحوث تحليلية عن البارودي وشوقي والعقاد وابن زيدون، وله تحقيقات لكتب أدبية قيمة. وكثير من كتبه مراجع في الجامعات المصرية والعربية. وقد ترجمت بعض أعماله، مثل كتابه (عن النقد) الذي ترجم إلى الإيرانية، كما ترجم كتابه (الأدب العربي

المعاصر) إلى الصينية، وكتابه عالمية الإسلام إلى الإنجليزية والفرنسية. وصدرت عنه مؤلفات ثلاثة هي: ١. شوقي ضيف: رائد الدراسة الأدبية والنقد العربي للدكتور عبد العزيز الدسوقي. ٢. شوقي ضيف: سيرة وتحية للدكتور طه وادي. ٣. قراءة أولية في كتابات د. شوقي ضيف للأستاذ أحمد يوسف على. كما أن هناك رسالة أكا ديمية عنه قدمتها الجامعة الإسلامية الحرة بطهران الباحثة الإيرانية (شكوه السادات حسيني) نالت بها درجة الماجستير بامتياز، وكان موضوعها (الآراء النقدية في النحو والبلاغة للدكتور شوقي ضيف). وكتبت دائرة معارف الأدب العربي الصادرة في لندن ونيويورك بمجلدها الأول ترجمة له وقالت فيها عنه: إنه أحد الشخصيات المؤثرة بشكل واضح في الدراسات العربية المعاصرة. الجوائز والأوسمة والدروع التي حصل عليها:

١. جائزة الدولة التقديرية في الآداب ١٩٧٩.
٢. جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب العربي ١٩٨٣م.
٣. منح وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى.
٤. حصل على دروع جامعات القاهرة والأردن وصنعاء والمنصورة والمجلس الأعلى للثقافة.
٥. كما حصل على درع الريادة في ملتقى القرصايبية الليبي في حفل حضره نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الزراعة ووزير التعليم العالي والتربية والتعليم وفضيلة مفتي الجمهورية ونيافة البابا شنودة الثالث وسفير ليبيا بمصر ورئيس مجلس إدارة دار المعارف.
٦. حصل على جائزة مبارك في الآداب عام ٢٠٠٣م وهو عضو في مجمع سورية، وعضو شرف في مجمع الأردن والمجمع العراقي.

عن العربي الجديد.

## شوقي ضيف تلميذ طه حسين ووريث كرسيه في رئاسة مجمع اللغة العربية

أحمد عادل

د

لم يعرف تاريخ أدبنا العربي مثيلاً لمؤلفاته، ولا نظيراً لكتاباته، بها نهضت علوم العربية أدباً ولغة ونحواً بعد جمود، وفي كل بلغ الذروة والإجادة، فارتدت آداب العربية ثوباً لم ترتديه من قبل ينبض بالحياة، ويشع بالجمال، هو تلميذ "عميد الأدب العربي" الذي صار أستاذاً لأساتذة العربية، ورئيساً لمجمعهم اللغوي بالقاهرة، إنه العلامة شوقي ضيف الذي تمر اليوم ذكرى ميلاده التاسعة عشر بعد المائة.

د



عندما شرع في تنفيذ مشروعه الأدبي الضخم موسوعة "تاريخ الأدب العربي" فجاءت ماناتها الأدبية مختلفة عما سبقها من كتابات، جعلتها أكثر دقة وموضوعية من كتابات طه حسين، والعقاد، ومصطفى صادق الرافعي، وآراء المستشرقين مثل كارل بروكلمان، فقد دخل ضيف من باب الأدب العربي الواسع ليتجول بين رحاب اللغة العربية، فأضحت موسوعته شاملة تمزج التاريخ بالجرافية، وإعارة للأدب واللغة، والعادات، والتقاليد في مختلف عصور العربية. لقد أرخ شوقي ضيف للأدب العربي في عصوره الزاهية، فجاء ذلك في عشرة مجلدات، أصبحت المرجع الرئيس لأي دارس للأدب العربي، فما من باحث جاء من بعده إلا ومر على مؤلفات شوقي ضيف في تاريخ الأدب العربي التي امتدت لخمسة عشر قرناً من الزمان، منذ العصر الجاهلي، وحتى العصر الحديث، وقد صدرت من هذه

ضيف أحد أبرز التلاميذ النجباء لعميد الأدب العربي طه حسين، فأصبح الأول على دفعته، وعين معيداً بقسم اللغة العربية، ثم حصل على درجة الماجستير في النقد الأدبي، ثم درجة الدكتوراة التي أشرف عليه فيه طه حسين، وما أجمل أن يعترف الأستاذ بأستاذية التلميذ في مقدمة رسالته الجامعية، حيث كتب طه حسين في مقدمة رسالة شوقي ضيف: "وإذا كنت حريصاً على أن أقول شيئاً في التقديم، فإنما هو تسجيل الشكر الخالص للجامعة التي أنتجت الدكتور شوقي، والدكتور شوقي الذي أنتج هذه الرسالة".

ساهمت تلك الروافد العلمية التي تنقل الدكتور شوقي ضيف بين رحابها من "الأزهر" إلى "دار العلوم" إلى "الجامعة المصرية" في أن تجعل من كتاباته حاضرة لمفاهيم الأصالة والمعاصرة، فتمسك بأواصر التراث، ولم ينساق وراء دعوات الحداثة، وقد ظهر هذا جلياً واضحا

البداية كانت من محافظة دمياط، وفي نفس هذا اليوم الثالث عشر من يناير عام ١٩١٠، شهدت قرية "أولاد حمام" ميلاد علامة الأدب واللغة، أحمد شوقي عبد السلام ضيف، وبعد فترة قصيرة من ميلاده أصيب بضعف حاد في نظر عينه اليسرى، لكن هذا لم يخل دون إتمامه لحفظ القرآن الكريم في سن العاشرة.

وليس غريباً على من يحمل اسم أمير الشعراء "أحمد شوقي" أن يُظهر شغفاً بالقراءة، وولعاً في حفظ الشعر، ونبوغاً في الأدب، وهنا لم يجد أمامه سوى باب "الأزهر" ليواصل دارسة اللغة العربية وآدابها، فالتحق بمعهد الزقازيق الأزهرى الثانوي، وتخرج منه بتفوق، ليلتحق بتجهيزية "دار العلوم" وفي السنة الأخيرة منها علم بتأسيس الدكتور طه حسين لقسم اللغة العربية بجامعة فؤاد الأول (القاهرة)، فالتحق به وأصبح شوقي

الموسوعة قرابة عشرين طبعة مختلفة. تزامن هذا المشروع الأدبي الضخم بمشروع لا يقل أهمية عنه، وهو تيسير قواعد النحو العربي، شمر شوقي ضيف عن ساعديه لتطويع النحو العربي منذ أن انتشل مخطوط "الرد على النحاة" لابن مضاء من غياهب خزائن التراث العربي، ومن ثم قام بتأليف عدة كتب في هذا المجال مثل "المدارس النحوية"، "تيسير النحو"، "الفصحى والعامية"، "تجديد النحو" و "تيسيرات لغوية".

لم تقف مؤلفات شوقي ضيف عند عتبات "الأدب والنحو"، بل أثبت أنه بحراً هادراً يفيض بدراسة العربية وآدابها والعلوم الإسلامية، ففي مجال التفسير كان له باع كبير حيث أفرد عدة مؤلفات مثل "الوجيز في تفسير القرآن الكريم"، "معجزة القرآن"، "الحضارة الإسلامية من القرآن والسنة"، وفي حقل الدراسات البلاغية له من المؤلفات، "في الأدب والنقد"، "في النقد الأدبي"، البلاغة.. تطور وتاريخ، كما برع شوقي ضيف في صياغة السير الذاتية للشعراء، مثل "شوقي.. شاعر العصر الحديث" الذي كان يُدرس لطلبة المدارس، و"ابن زيدون"، و"الشعر العذري عند العرب" الذي تناول فيه سير شعراء الحب العذري، البارودي.. رائد الشعر الحديث، و"مع العقاد".

ومثلما كان أستاذه طه حسين "عميد الأدب العربي" رئيساً لمجمع اللغة العربية، فقد شغل تلميذه النجيب، الأستاذ شوقي ضيف منصب رئيس مجمع اللغة العربية منذ عام ١٩٩٦ وحتى وفاته عام ٢٠٠٥. لقد عاش شوقي ضيف للعلم والعلم وحده، مبتعداً عن هالات الإعلام، وحب الظهور، فجاءه التكريم منصاعاً مختاراً، فحصله عدة جوائز، منها، جائزة مجمع اللغة العربية عام ١٩٤٧، وجائزة الدولة التشجيعية في الآداب عام ١٩٥٥، وجائزة الدولة التقديرية في الآداب عام ١٩٧٩، وجائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي عام ١٩٨٣م. ويعد مسيرة علمية حافلة مع الأدب ولغته العربية بحثاً ودراسة، وأعض العلامة شوقي ضيف عينه عن الدنيا في مساء يوم الثالث عشر من مارس عام ٢٠٠٥ عن عمر ناهز ٩٥ عاماً، بعد أن قرت اللغة العربية عينها بمؤلفاته الأدبية الزاهرة.

عن صحيفة الخليج

# شوقي ضيف.. التأريخ للأدب العربي كان مشروع حياته

إعداد- سماح عادل



”شوقي ضيف“ مؤرخ موسوعي للأدب العربي، ورئيس المجمع اللغوي بالقاهرة، اسمه ”أحمد شوقي عبد السلام ضيف“، ولد في ١٩١٠ في قرية أولاد حمام، محافظة دمياط، مصر، يعد علامة من علامات الثقافة العربية، درس فروع الأدب بأسلوب سلس لا يخفى على أي قارئ لأحد كتبه.

## حياته..

أصيب في صغره بمرض أضعف بصر عينه اليسرى كثيراً، لكن ذلك لم يمنعه من ختم القرآن وهو في سن عشر سنين، وقد ظهرت عليه آثار الفطنة والنبوغ منذ صغره، التحق بمعهد الزقازيق الثانوي الأزهرى وتخرج بتفوقه المعتاد. ثم التحق بقسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة القاهرة، وكان الأول على دفعته. واختير معيدا بقسم اللغة العربية فيها. ثم حصل على الماجستير في النقد الأدبي، والدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى. كان ”شوقي ضيف“ تلميذاً للأديب ”طه حسين“ الذي أشرف على رسالته الدكتوراه، وقد أشاد به ”طه حسين“ بقوله: ”وإذا كنت حريصاً على أن أقول شيئاً في التقديم فإنما هو تسجيل الشكر الخالص للجامعة التي أنتجت الدكتور شوقي، والدكتور شوقي الذي أنتج هذه الرسالة“.

ألف الدكتور ”شوقي ضيف“ حوالي ٥٠ مؤلفاً، منها: (موسوعة تاريخ الأدب العربي)، في عشر مجلدات، وهي من أشهر ما كتب. استغرقت منه ثلاثين عاماً شملت مراحل الأدب العربي منذ ١٥ قرناً من الزمان، من شعر ونثر وأدباء منذ الجاهلية وحتى عصرنا الحديث، سردها بأسلوب سلس يجذب القارئ، وبأمانة علمية عالية جداً، وبنظرة موضوعية. وتعتبر هذه السلسلة هي مشروع حياته. وقد بلغ عدد طبعات أول كتاب في السلسلة العصر الجاهلي حوالي ٢٠ طبعة.

وقد حاول في هذه الموسوعة أن يجمع بين اتجاهين: الأول النظر إلى تاريخ الأدب بوصفه علماً كما نظر إليه ”طه حسين“ و”بروكلمان“، والآخر تقسيم الأدب إلى عصور كما فهمه القدماء وكما فهمه ”الرافعي“ و”جرجي زيدان“ و”أحمد حسن الزيات“ و”أحمد أمين“.

واعتمد في تفسيره للتاريخ الأدبي على المدرسة الطبيعية التي اتخذت من منهج هيبوليت تين Hippolyte Taine (١٨٢٨ - ١٨٩٣) أساساً لتفسير التطور الأدبي، ويعتمد على أن هناك ثلاثة قوانين يخضع لها الأدب في كل أمة؛ وهي الجنس والزمان والمكان.

ومما يميز موسوعته تلك النظرة الموضوعية والدقة المنهجية، والعمق في طرق الخبر التاريخي بعد نقده وتحليله وتوثيقه من خلال التوقف عند مصادره واستبعاد ما حوله من شبهات، ثم ينتقل من التاريخ إلى الجغرافيا، ثم يتطرق إلى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والأديان، ثم يتوقف عند اللغة وتاريخها، ثم يأتي دور المحقق والعالم المحاور والباحث المناقش لأطروحات الآخرين، وهو فوق كل هذا يعيد النظر فيما كتبه من أحكام إذا ظهر له ما يجعله يغير وجهة نظره.

## قضية النحو العربي..

كان الدكتور ”شوقي ضيف“ من أوائل من فجروا في



نحتاج إليها في تصحيح نطقنا وتقويم لساننا“.

ولم يكتف بإحيائه لهذا الكتاب من قبور المخطوطات؛ بل تتبع دراسة تاريخ النحو العربي ونظرياته ومدارسه، وأشرف على العديد من الرسائل العلمية في هذا المجال. كما اهتم بقضية تيسير النحو العربي وتعليمه، وألف في ذلك: (”تجديد النحو“ - ”تيسيرات لغوية“ - ”الفصحى المعاصرة“). وقدم إلى المجمع مشروع تيسير النحو فأقره المجمع.

شغل ”شوقي ضيف“ عضوية مجمع اللغة العربية بالقاهرة ورئاسته، والمجالس القومية المتخصصة بالقاهرة، والمجمع العلمي المصري. كذلك نال عدداً من الجوائز العلمية، أبرزها جائزة مجمع اللغة العربية في عام ١٩٤٧، وجائزة الدولة التشجيعية في الآداب ١٩٥٥، وجائزة الدولة التقديرية في الآداب ١٩٧٩، وجائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي ١٩٨٣م، وجائزة مبارك للأدب ٢٠٠٣.

بدايات القرن المنصرم قضية النحو العربي وضرورة النظر في كثير من مسلماته إثر نشره وتحقيقه لكتاب ”الرد على النحاة“ لابن مضاء، ذلك الكتاب الذي نادى فيه صاحبه بإلغاء نظرية العامل في النحو، وما تقوم عليه من تعليل وقياس، والاكتماف بذكر القواعد مجردة.. فيقول في مقدمته للطبعة الأولى: ”وقد سدد ابن مضاء سهام دعوته أو قل سهام ثورته إلى نظرية العامل التي أحالت كثيراً من جوانب كتاب النحو العربي إلى عقد صعبة الحل عسيرة الفهم.. إن كل ما تصوره النحاة في عوالمهم النحوية تصور باطل... وليس هذا كل ما تجره نظرية العامل في كتاب النحو العربي، فهي تجر وراءها أيضاً حشداً من علل وأقيسة يعجز الثاقب الحس والعقل عن فهم كثير منها، لأنها لا تفسر غامضة من غوامض التعبير، ولا دقيقة من دقائق الأسلوب، وإنما تفسر فروضاً للنحاة، ووطنونا بمهمة... وهذا كله أفسد كتاب النحو العربي إفساداً، لأنه ملأه بمسائل ومشاكل لا

## منهجه في دراسة الأدب العربي..

في مقالة بعنوان (منهج شوقي ضيف في دراسة الأدب العربي) تقول ”هدى محمد قزح“: ”لقد تصدى شوقي ضيف في العديد من مؤلفاته لدراسة الأدب العربي، من جوانب عديدة، أظهرها التأريخ للأدب العربي، ضمن سلسلة تاريخ الأدب العربي، بعدما رأى أن جهود المحدثين من عرب ومستشرقين لم تبسط الحديث في الأدب والأدباء العرب على مر التاريخ بسطاً مفصلاً من الجاهلية إلى العصر الحديث. لذلك سعى جاهداً إلى التركيز على دراسة الأدب بمعناه الخاص، من خلال الجمع بين أنظار منهجية متباينة، لدراسة الظواهر الأدبية ”عصوراً واتجاهات وتيارات، أو أشكالاً أدبية، أو شخصيات أدبية“، مما يساهم في نقل التصور الشمولي للأدب بشقيه ”الشفاهي والكتابي“، مع التأكيد أن دراسة حاضر الأدب لا تنفصل عن ماضيه لذلك لا بد من تأصيل الظواهر والموازنة بينهما.. وقد نهج شوقي ضيف في تاريخه للأدب، منهج التقسيم إلى عصور أدبية تبعاً للتقسيمات السياسية للعصور، فقسم العصور الأدبية إلى خمسة أقسام، يبدأ أولها في العصر الجاهلي، في حين ينتهي القسم الأخير في العصر الحديث.. وتقسيم شوقي ضيف للعصور الأدبية، يتميز من غيره.. ممن اتبعوا المنهج التاريخي في دراسة الأدب، في أنه جمع بتاريخه بين عنصرَي الزمان والمكان، ويتضح ذلك جلياً في عصر الدول والإمارات. وقد تناول شوقي ضيف العصر العباسي ضمن فترتين، وهو بهذا يفترق عن الذين قسموا العصر إلى فترات عديدة. وإن جمع شوقي ضيف في عصر الدول والإمارات أقاليم عديدة، وأرخ لأدبها على حدة، إلا أنه أكد أنه ثمة وحدة فكرية وشعورية وروحية تجمع هذه الأقاليم المختلفة، في مراحلها المتباينة المؤرخ لها.. واعتاد شوقي ضيف أن يبدأ دراسته لأي عصر من العصور الأدبية المؤرخ لها، بدراسة طبيعة الحياة السياسية، والاجتماعية، والثقافية، والعقلية، ثم يتبعها بدراسة الأغراض الأدبية الشعرية منها والنثرية، ومن ثم يقدم تراجم الأدباء“.

وتواصل: ”وقد يتباين تناول المنهج للعصور، إذ يتحدث شوقي في العصر الجاهلي عن خصائص الشعر، في حين أنه يتحدث في عصر الدول الإمارات عن السياسية والمجتمع، ويفرد للثقافة فصلاً. وفي العصر العباسي فصل شوقي ضيف الجانب السياسي عن الاجتماعي. أما عن تناول شوقي ضيف للأغراض الأدبية في تاريخه للأدب، فيبدو لي أنه كان يصف حركة الغرض في العصر الذي يؤرخ له، ويبين مدى شيوع هذا الغرض وتحولاته، ولكنه لم يتبع المنهج الاستقرائي، ويتبع الغرض نفسه في مسيرته الأدبية والتاريخية. وقد لاحظت أن شوقي ضيف كان تارة يربط الغرض بجانبه الاجتماعي من مثل تناوله لغرض ”المدح، والرثاء، والهجاء“، وتارة يربطه بالجانب الفردي الذاتي لاسيما في تناوله لغرض ”المجون، والخمرات، والغزل“. وقد قدم شوقي في تاريخه الغرض العام على الخاص ”الذاتي“، وأظهر ما يبين عن هذا توسعه الملحوظ بدراسة غرض المدح، ورؤيته المتباينة لغيره من النقاد في شعر المدح، ولطالما ربط شوقي ضيف شعر المدح بالسياسية. أما عن التراجم الأدبية التي قدمها في تاريخه للأدب، فقد تناول فيها ملامح تاريخية للشخصية التي تدور فيها الترجمة، واعتمد على مصادر القدماء والمحدثين فيما روى من أخبار عن الشعراء. وقد أبان عن تفاعل العوامل المختلفة في تكوين عدد من الشخصيات الأدبية، وأشار إلى جانب تأثير اختلاط الأجناس. وظهر لي أن تناوله للتراجم جاء تبعاً لشهرة الشاعر، أو شهرة الغرض الذي كان يتميز به. أما عن الجانب النثري فقد غلبت النمطية على التقسيمات التي اتخذها شوقي ضيف، ولم أجد تصنيفاً مميزاً، وإنما وقعت على وصف مجرد موجز، وتناول سريع للأدباء وأغراض النثر“.

## وفاته..

توفي ”شوقي ضيف“ في ٢٠٠٥ عن عمر يناهز ٩٥ عاماً، وكان متواضعاً ذا صدر رحب، ويد طاهرة، ولسان عفيف، يشهد له بذلك كل من عرفه معرفة شخصية.



# شوقي ضيف.. آخر النقاد الموسوعيين

## نجم الدين خلف الله

لا يزال شوقي ضيف (1910-2005) علامة فارقة في دُرُس الأدب العربي، ختم بأعماله النقدية جيل الباحثين الموسوعيين من أمثال بروكلمان وطه حسين والعقاد، فكانت كتبه التي تقارب الخمسين تطبيقاً لمنهج النقد التاريخي، يستعيد به أربعة عشر قرناً من الأدب والأفكار، بكل ما في ذهن العربي من مذاهب وتعرجات، وما في بيئاته الثقافية من أطراف أثرت في فن الكلام. وقد اعتمد منهجه التاريخي تقسيم هذا النتاج المترامي إلى مدارس واتجاهات، نشأت في أقاليم متباعدة، ولكن يجمعها تجانس الثقافة، ثم تعمق في تحليل المحاور والوسائل الأسلوبية لكل ظاهرة أدبية، مُبرِّزاً ما بين النصوص والتيارات من صلات التحوار النصي. أجرى ضيف قراءة نسقية لمجموع الأدب العربي، وقام باستعادة شاملة لتاريخ إنتاجه مع التعمق في تلويناته وتغريباته، حسب آلية التحقيب التي رصد من خلالها منعطفات هذا التاريخ وقطائعه، وبين أثرها في الكتابة الأدبية موضوعات وأساليب، فما هي أهم سمات رؤية هذا الناقد المصري. وقد امتد نشاطه على أكثر من نصف قرن من البحث الدؤوب؟

«رحل منذ اثنتي عشرة سنة وسط شبه تجاهل رسمي وثقافي»

أولى خصائص النظرة النسقية التي شيدها هذا الدارس المنحدر من محافظة دمياط، هي رصد المبادئ عامة، تشتغل بمنايا آليات ضمنية، وتحكم صيرورة الأدب وتحولاته، بشكل يكاد يكون لاواعياً، فقد دلل في كتابه «الفن ومذاهبه في الشعر العربي»، على سبيل المثال، أن جوهر هذا الشعر، منذ بدايات نشأته الأولى، في

الجاهلية، إلى غايته اكتماله الصناععي مع أبي تمام والمنتبي، وتناهيه مع تأملات المعري، ثم تجسده في العصر الحديث مع شوقي وإبراهيم، ظل محكوماً بالصنعة والتصنيع والتصنع، ثلاثة مبادئ خضع لها فن تحبير النصوص وإبداع الصور.

وبفضل معرفة دقيقة بتفاصيل الحقب الفنية، برهن الباحث على ثبات اشتغال هذه الآليات عبر تحليل نماذج عديدة من القصائد والمقطوعات، تجسد كل واحدة منها هذه المبادئ الما وراء-شعرية، حتى صار كل نص تجلياً لهذه السمات أكثر من كونه تلاعباً باللغة واستدعاء للنصوص السابقة والمجاورة. وجلي أن قراءة تاريخ الأدب العربي من خلال مفهوم «الصنعة» تتلاءم مع اعتبار الأدب «فنًا عقلياً» يكتسب بالتجربة ويُعدى بالمعارف.

وأما الخاصية الثانية لهذه الرؤية النسقية، فهي الربط الوثيق بين السياقات الاجتماعية والثقافية والحضارية من جهة والإنتاج الأدبي من جهة ثانية، فقد اعتبر صاحب «سلسلة الأدب العربي» أن الأدب هو مرآة لما يجري على واجهة التاريخ من الأحداث في علاقة تفاعلية مطردة. وأبان في تحليله أن هذه المرآة عاكسة لتحويلات التاريخ وناقلة، بأمانة المرايا وشفافيتها، ما يطرأ على ساحة الواقع من صراعات السياسة وتغيرات المجتمع. فتطرق إلى آثار تفاعل الثقافة العربية الإسلامية مع الحضارات الأخرى، (الفارسية والبيزنطية)، وما أفرزه تفاعلها من تيارات فكرية مثل الشعوبية، ومن تصورات مجردة بعد نقل الفلسفة الإغريقية إلى العقل العربي، في أروقة بيت الحكمة ببغداد.

وكان من ثمرات هذا الاطلاع النسقي، أن أنجز ضيف موسوعة الأدب العربي، في مجلدات عشرة، استغرقت ثلاثين سنة من عمره، أجزاها وفق المنهج التاريخي الذي طوره إيبوليت تان (1828-1893)، من خلاله تقسيم صيرورة الأدب العربي إلى عصور، تراكبت في أقاليم جغرافية متباعدة، ولا تجمعها سوى وحدة الثقافة،

فانبري يؤرخ لكافة تعابير الإنتاج الفني، حسب العهود، مُبيناً تأثير البيئات الجغرافية والفكرية في اجترار الصور وتشكيل الثيمات، مع تغطية سائر أرجاء العالم العربي، وفي كل مراحلها.

«حاول أن يستعيد بأعماله أربعة عشر قرناً من الأدب العربي»

تميز هذا المنهج النسقي أخيراً بالتشديد على تفاعل الخطابات الأدبية والنقدية والعلمية في ما بينها (وخاصة النحوية والبلاغية والتفسيرية) وهو ما يمكن اعتباره تطبيقاً استباقياً لمنهج «التناص» في درس تراشد الخطابات وتواصل أصناف الكلام عن الأدب: فتأملات النقاد أثرت في اختيارات الشعراء لصور الديان، وهذه تطابقت مع إملاءات علماء النحو والمنطق، وتجاوزت جميعها مع رؤية علماء الدين من متكلمين وفقهاء. ولعل هذا المنحى أن يفسر توزع أعمال الناقد المصري بين الأدب والبلاغة والنحو والتفسير.

إذ قد أدهم الترافد إلى البحث في نشأة النحو ومدارسه من البصرة إلى الكوفة، وتوصل، عبر دراسته الديكرونية، إلى ملاحظة تجمد التراكم المتقدمة، فدعا إلى تجديد النحو العربي وتيسير مبادئه حتى يصبح أداة لتحقيق الكفاءة اللغوية-التعبيرية ووسيلة ناجعة للتواصل السليم، وليس مجرد قواعد جافة أو تأملات عقيمة، امتزجت بالمنطق القروسطي ومفرداته الكزة، وتأثرت بنظرية العوامل في إعراب الكلم. وهكذا، استغل حُرَيْج دار المعلمين العليا تحقيق مخطوط ابن مضاء، في الرد على النحاة، ونقده لجفاف كلامهم وتعمده حول التعليل الإعرابي، لينادي بإلغاء نظرية العوامل، وعدها من ترف التفسير الذي لا يساعد على تحسين الكفاءة اللغوية ولا على رصد مظان الجمال في النصوص.

وتخلص إلى ضرورة تيسير النحو وتدريبه وإلحاق سجلات الدارجة بالفصحى والعكس، إذ ساعده عمله في مجمع اللغة العربية (من 1976 إلى 1996) على الالتزام

عن جريدة العرب

# شوقي ضيف بلا وريث

## سوسن الأبطح

تحرر الناس من جمود العادات والمعتقدات، وتساعد على اختراع نماذج أخرى غير التي مرت وانقضت. وإذا كان ميشليه يرى في هذا العلم النبيل وسيلة «لإفراز كيمياء التحولات» عند الشعوب، فقد جعل منه العرب، من دون دراية منهم، أداة لتكريس الجمود، وأقصر طريق للذهاب إلى الجحيم.

تختلف العلاقة بالتاريخ تبعاً لزاوية الرؤية التي يقرأ منها. وضيف كانت له فلسفته القومية، وحسه الإسلامي الانفتاحي. نقرأ كتابه عن الحضارة العباسية، تلحظ كيف يحتفي بين السطور بتلك التعددية الدينية التي سادت وثقافت، والإختلاط العرقي الذي صنع مجد بغداد ووجهها. يعرض أمامك حياة المجان والزنادقة بتفاصيلها، كما يبسط حكايا المنصوفة والزهاد باحثاً عن أصولها وجذورها. نشأته القروية التسامحية أبقت لروحها اتساع أفقها، وتلمذه على يد مصطفى عبد الرزاق، وأحمد أمين وعبد الوهاب عزام، وبالتأكيد طه حسين، الذي سيخلفه في رئاسة مجمع اللغة العربية، منحه منهجه العلمي.

أهمية الرجل أنه من صنف المؤرخين الذين وضعوا أحداث الماضي في متناول الجميع، بأسلوب سلس، عذب. كتب في سلسلة «تاريخ الأدب العربي» التي سطرها في عشرة مجلدات، حكاية ألف وخمسة مائة سنة من أدب العرب وحضارتهم، ولغتهم. ثلاثين سنة قضاهما هذا المترهب في محراب البحث، يفتح في الحقب التاريخية، يخصص لكل حقبة جزءاً أو اثنين، من الجاهلية إلى العصر الحديث. وهو في هذا سار على نهج عميد الأدب العربي الذي رافقه في محطاته الجارفة وهو يجتازها بتفوق، وأثار إعجابيه، وهو يشرع على رسالته في الماجستير والدكتوراه. وكما أسأته عندما كتب «على هامش السيرة»، و«الفتنة الكبرى» و«الشيخان» عن أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب، ذهب ضيف ينبش في

قبل أيام، مرّت الذكرى السادسة عشرة لرحيل مؤرخنا الكبير، شوقي ضيف. قلة تذكرته، أو كتبت عنه حديثاً. وليس في الأمر مفاجأة، ثمة جحود يطال المفكرين والمؤرخين، وأصحاب الجهد الذهني، وهذا من جملة إشارات المتردي المتسارع في المنطقة العربية. أذكر أن المفكر محمد عابد الجابري، صاحب «نقد العقل العربي»، يوم جاء «معرض بيروت العربي الدولي للكتاب» وكان هذا قبيل وفاته، أصابه الضجر وهو يجلس على كرسيه، خلف العشرات من كتبه، ينتظر من يطلب منه توقيعاً على نسخة، فيما كانت الجموع الغفيرة، على مبعده أمتار، تتلحظ حول جناح أحد نجوم برامج الطبخ في إحدى القنوات التلفزيونية، طمعا في شراء كتابه. لو كان شوقي ضيف إنجليزي أو ألمانيا، لاستذكرته أمتة في كل مناسبة، ولدرست كتبه وأعادت نشرها وبثت فيها نبضاً لا ينقطع. فالتاريخ أبو العلوم جميعها. وهو عند الأمم المعافاة قضية وطنية، وفي الصين وسيلة لتعزيز روح الانتماء وتدعيم الهوية، التي من دونها لا توثب إلى الأمام. عمدت جريدة «لوموند» قبل أيام، في مبادرة ذات أهمية استثنائية، إلى نشر قراءة جديدة لتاريخ فرنسا، في عدة مجلدات، للمؤرخ جول ميشليه، تتبعها بأسعار زهيدة لقرائنها، وتقدمها هدية لمشتركها. وميشليه هذا له رأي في التاريخ لو تنبه إليه العرب لربما تغير مسارهم. فهو يعتبر أن معرفة التاريخ بعمق «رافعة



قصص الأسلاف بطريقته الخاصة، وعلى خطاه عمل في النقد، وسعى من خلال مؤلفاته اللغوية إلى تبسيط القواعد.

ومثل النهضويين الكبار، تحولت كتب ضيف إلى كلاسيكيات في الجامعات، تتداول جيلاً تلو آخر، مع فارق هو أنه من الصعب أن تجد لها بديلاً يستسيغها الطالب. فالمؤرخ الذي كتب بموضوعية، ووثق، وتخبر كلماته كي لا ينجس في الحماسة، أو يضجر من شدة الحيادية، أمكنه أن يقدم مؤلفات فيها من المصداقية بقدر ما فيها من الليونة في المنهج والتناول. ميزته عن كل من ذكرنا،

أنه أكاديمي، ومعلم، يعرف ما يحتاج إليه طلابه، ويقدم مواضيعه منظمة، وأفكاره متسلسلة، جاهزة للضم. بعد سنوات طويلة على صدور سلسلة شوقي ضيف التي كانت مشروع حياته، وطبعت على الأقل عشرين طبعة، من دون احتساب آلاف النسخ المتداولة بالتزوير والتصوير، لا يُلْتَفَت جدياً إلى قيمته المعرفية الموسوعية، ما يقارب ستين كتاباً، سُخِّرَت جميعها لتعريفنا بترائنا وهويتنا: «الحب العذري»، «الفن ومذاهبه في الشعر العربي»، «الفن ومذاهبه في النثر العربي»، «الشعر والغناء في المدينة ومكة»، «المدارس النحوية»، «تجديد النحو»، «البلاغة تطور وتاريخ»، «البحث الأنبي... طبيعته ومناهجه وأصوله ومصادره». كل ما تبحث عنه تجده في مؤلفات ضيف مبسطاً مناسباً وقريباً من ذاقتك. في هذا هو سليل النهضويين الكبار من أساتذته الذين اعتبروا كتبهم جسراً بين المصادر القديمة الصعبة، والناس العاديين. في رؤيته لدوره شبيه بعباس محمود العقاد، عندما وضع عبقرياته، وأحمد أمين وهو يسطر «فجر الإسلام»، و«ضحى الإسلام» و«ظهر الإسلام». أساتذنا، ومؤرخنا، لا يُعْتَرَله على تسجيلات مصورة، للأسف، باستثناء واحد مدته أقل من دقيقة، يبدو فيه شيخاً طاعناً في السن، ربما تجاوز التسعين. في هذا الشريط النادر الذي يختم فيه محاضرة للعالم الألسني الجزائري عبد الرحمن الحجاج صالح، تسمع لهشتنك الشيخ شوقي ضيف، يتحدث بشغف الأطفال عن «الحوسبة»، أي علم احتساب اللغة رياضياً وبرمجتها إلكترونياً، متأسفاً لأن المحاضر كان موجزاً، وهو يرغب في أن يعرف المزيد عن هذا العلم الجديد. لقد كان حقا صاحب ذهن متوقد وفصول لا ينضب.

# شوقي ضييف.. سيرة وتحية



## فؤاد دوار



هذا الكتاب هو تحية لرائد من رواد الدراسات العربية. قام بكتابتها تلامذته ومحبه الذين عشقوا الأدب العربي من خلال كلماته بمناسبة بلوغه سن الثمانين من عمره دون أن يجف مداد قلمه أو يخفت توقد ذهنه. ومجلة العربي تشارك في تحية هذا الرائد الكبير بتقديم عرض لهذا الكتاب.



توقف القلم بعد مسيرة طولها خمسة وسبعون عاما تمثل القرن العشرين فكرا وثقافة وسياسة وتربية وتجارب. شوقي ضيف المفكر واضح تمام الوضوح ولكن شوقي الإنسان في بيته أسدل عليه ستورا كثيفة. سنة حميدة تلك التي استأنها أستاذنا الدكتور عبد الرحمن بدوي حين أصدر منذ سنوات عديدة كتاب "طه حسين، سيرة ونحية" بالاشتراك مع نخبة من تلاميذ عميد الأدب، أسهم كل منهم بإضاءة جانب من جوانب إنتاج الأستاذ الرائد، أو بإضافة من إضافاته المهمة لحياتنا الأدبية والثقافية، ثم في قسم آخر لحق بهذا القسم الأول، نشرت نخبة من أولئك التلاميذ الأبرار مجموعة من دراساتهم وأبحاثهم المبتكرة في تخصصاتهم الأدبية الدقيقة، أهدوها إلى صاحب السيرة وموضوع التحية، قد تكون امتدادا لدراساته، أو تطويرا لها، وقد لا تربطها به ودراساته أدنى صلة، وكأنهم يقولون له بهذا القسم من الكتاب، ها هو ذا عرس يديك قد أتى ثماره، وأثبت نفعه وجدواه، وها نحن تلاميذك نتابع السير على الطريق الذي شققته، ونمضي على درب الذي ارتدته، وقد نرتاد كذلك آفاقا أوسع مما ارتدته، ونشيق فجاجة عديدة أرحب مما شققته، فتلك طبيعة الحياة، وتلك طبيعة البحث الأصيل، لا يعرف حدودا يتوقف عندها،

ولا قيودا تعوق انطلاقه وتقدمه.

على هذه السنة صدرت كتب أخرى تكريما للعقاد، ومحمود شاكر، وزي نجيب محمود، وأخيرا للدكتور شوقي ضيف بمناسبة بلوغه الثمانين من عمره، وهذا الكتاب الأخير هو موضوع هذا المقال.

العنوان الكامل للكتاب هو: "شوقي ضيف - سيرة وتحية: دراسات في الأدب والنقد واللغة بقلم مجموعة من أساتذة الجامعات العربية"، إشراف وتقديم: د. طه وادي، الذي يستهل تقديمه قائلا: "إن هذا الكتاب كتاب تذكاري ومجلد وثائقي عن أستاذنا الجليل، أستاذ الأساتذة، وكبير العلماء، وهو كتاب يؤكد وفاء جيل من دارسي الأدب العربي، نحو أستاذ عظيم المكانة، جليل القامة، وهب حياته كلها للبحث والدرس، والعلم والتعليم، غير متطلع إلى منصب أو طالب لعرض من أعراض الدنيا، إن الحديث عن شوقي ضيف حديث عن رجل كالسيف، صور بسيرته، وشكل بمسيرته، مثالا أعلى يحتذى، وقدوة حسنة بها يهتدي، ومثل ذلك فليعمل العاملون، وليتناقش المتناقسون".

ويقرر كاتب المقدمة أن فكرة إصدار هذا الكتاب استقبلت بترحيب كبير وحماسة من تلامذة الأستاذ في قسم اللغة

العربية في كلية آداب القاهرة الذي تعلم وعلم فيه، فوصلته خلال أربع سنوات أبحاث متنوعة ودراسات عديدة يصعب جمعها بين دفتي مجلد واحد، وخشية من تضخم حجم الكتاب، أو نشره في جزأين منفصلين، فقد اضطر إلى انتخاب نماذج مختلفة من تلك البحوث المهداة، تكون قريبة - إلى حد كبير - من المجالات التي تدور فيها دراساته، وتتشعب إليها مؤلفاته، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تكون دالة على جهود الباحثين الذين تلقوا العلم على يديه في مختلف الأقطار والمعاهد. سيرة عالم.. ومسيرة إنسان لم يكتب د. طه وادي، أستاذ الأدب والنقد الحديث بأداب القاهرة بجهد الإشراف على هذا السفر القيم وكتابة تقديمه، بل اضطلع كذلك بكتابة الدراسة الأولى من القسم الأول من الكتاب، وموضوعها دراسات عن شوقي ضيف، فقدم دراسة شاملة لحياة الأستاذ وإنتاجه الأدبي الغزير بعنوان: "شوقي ضيف - سيرة عالم.. ومسيرة إنسان". وهي مهمة شاققة للغاية لاتساع رقعة حياة صاحب السيرة، وضخامة إنتاجه الأدبي، الذي بلغ سبعة وأربعين كتابا، احتاج مجرد تسجيلها في بليوجرافيا إلى أربع صفحات من القطع الكبير، فما بالك بقرائنها، والإلمام بخصائصها ومزاياها، تمهيدا

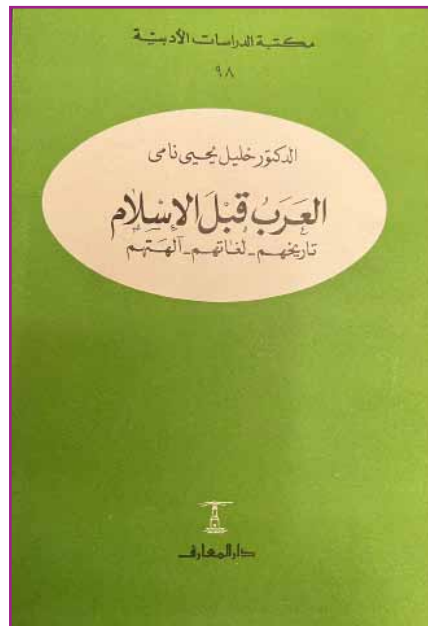
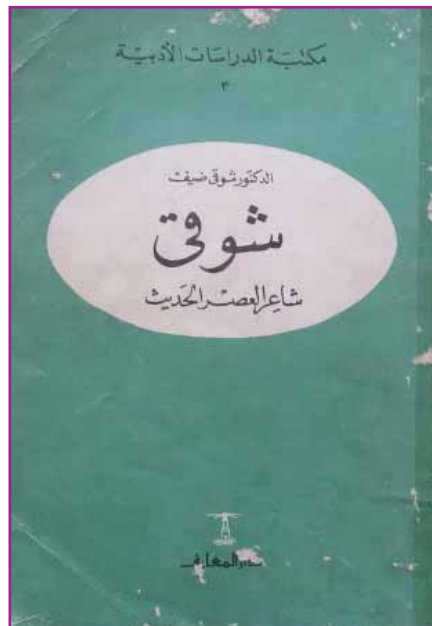
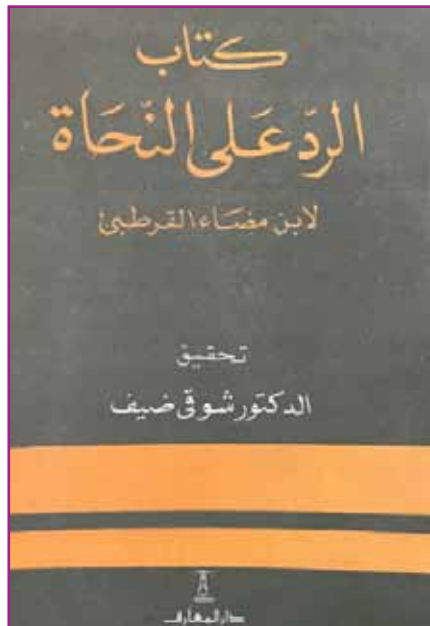
للتعريف بها وتقديمها.

يستعرض د. طه وادي مختلف مراحل حياة صاحب السيرة، ابتداء من مولده في قرية أو لاد حمام بالقرب من بحيرة المنزلة بمحافظة دمياط، حتى فوزه بأرفع الجوائز، وكجائزة الدولة التقديرية في الآداب سنة ١٩٧٩، وجائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي سنة ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م).

ويعد أن يقدم قائمة ببليوجرافية كاملة بمؤلفاته حتى سنة ١٩٩٢، يقسم هذه المؤلفات إلى أربعة أقسام:

- الدراسة الأدبية.
  - الدراسة البلاغية والنقدية.
  - الدراسة النحوية.
  - الدراسة الإسلامية وتحقيق التراث.
- ويعد أن يفصل القول في مؤلفات كل قسم يختتم دراسته قائلا:

«إن هذه الدراسة المختصرة شمعة صغيرة تحاول أن تضيء بحرا شاملا من العطاء والتأليف. إن شوقي ضيف مدرسة في إهاب أستاذ، وأمة في جسد فرد، أعطى ولا يزال يعطي حتى اليوم علما وفضلا، لكل من يلوذ به أو يلجأ إليه. وشوقي ضيف - كما يعلم كل من تتلمذ







manarat

www.almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة  
رئيس التحرير

عزى زويد

علي حسين

رئيس التحرير التنفيذي  
علي حسين

سكرتير التحرير  
رفعة عبد الرزاق

منارات

طبعت بمطابع مؤسسة للإعلام  
والثقافة والفنون



إليها بين الحين والحين.

نراه يضرب بسهم وافر، ويحيط إحاطة شاملة وافية، وما ذلك- في نظرنا- إلا لإيمانه بوحدة التراث، تراث أمتنا، يراه حين يدنو من الأدب، أو النقد، أو البلاغة، أو النحو، أو التحقيق، أو الدراسات القرآنية، حتى ليتمكن لنا أن نزع- دونما مبالغة- أنه لم يتيسر لباحث محدث أن يحيط بدراسة أعمق من أعماق ماضيها البعيد، إلى أوج حضارتها المعاصرة بدرجة واحدة من الإحاطة والشمول، والتأمل والاستيعاب، مثلما تيسر لباحثنا الكبير الذي استخلص لنفسه منهجا، واصطفى سبيلا بين تيارات صاخبة بين التراثية والغربية والفرعونية، بين سكبنة اليقين وثباته، وصخب الشك واضطرابه، في منهج أبسط ما يقال فيه إنه منهج متكامل يجمع بين الرؤية الداخلية والرؤية الخارجية.

### ملامح الشخصية المصرية

وينبهنا د. أحمد يوسف في دراسته الطريفة المهمة عن "البحث عن الشخصية المصرية عند شوقي ضيف" إلى أنه إذا كان تحديد ملامح الشخصية العربية كان الهدف الأساسي وراء كل اهتماماته، فإن البحث عن ملامح الشخصية المصرية كان كذلك من بين أهدافه النبيلة، كما كان من بين أهداف جيل أساتذته، مما يتضح في محاولتي طه حسين وأمين الخولي في كتابيهما "مستقبل الثقافة في مصر" و"أب مصر الإسلامية"، وهو ما حاول شوقي ضيف استكماله في كتابه "الفكاهة في مصر" الذي لم يحظ بعناية الباحثين بالرغم من أنه من أهم ما كتب الأستاذ فيما يرى الباحث، لأنه يركز فيه كل اهتمامه على استكشاف ما يميز الشخصية المصرية عن غيرها من خلال نصوص كتبت باللغة العامية، أو الدارجة كتبها شعراء أو زجالون لم يدرجوا في سجل التاريخ الأدبي المعروف، ومن ثم فهو إضاءة قوية لبقعة من بقاع الإبداع والوجدان، طال نسيانها وإهمالها. ويطول بنا الحديث أكثر مما تحتمل صفحات العربي لو أردنا التوقف عند كل بحث من أبحاث هذا السفر الثمين الذي تناول في قسمه الأول كل جوانب الباحث الكبير تقريبا، وقدم في قسمه الثاني سبع دراسات أصيلة مهداة إليه، من أهمها "عمود الشعر العربي" لحسين نصار، و"رفاعة الطهطاوي.. الناقد الأدبي" لعطية عامر رئيس قسم اللغة العربية بجامعة استكهولم بالسويد.

من مزايا هذا الكتاب أنه أشرك عددا غير قليل من تلاميذ شوقي ضيف في الأقطار العربية الشقيقة، وما أكثرهم، فنشر لبعضهم أبحاثا، ولبعضهم الآخر نكرياته مع الأستاذ من الأردن ناصر الدين الأسد، وعصمة غوشة، وأحمد الخطيب، ومن سوريا مازن مبارك، ومن العراق أحمد الجوازي، ومن السودان بشير عباس، ومن السعودية محمد عزيز نظمي، ومن قطر أحمد عبيدان. فأكملت بذلك، أو كادت، صورة رمزية لجهود الأستاذ في كثير من أرجاء الوطن العربي، بالإضافة إلى جيش تلاميذه الجرار في مصر. أمد الله في عمره ومنتعه بالصحة والعافية بقدر ما خدم بلاده وأدبها وثقافتها بشكل عام.

عن مجلة العربي الكويتية ١٩٨١

الصورة بكل جوانبها، فقد ترك فراغا لا ندري له سببا، لمسه حينما لمسا خفيفا، حين تحدث عن الوفاء، ولكن هذا لم يشبع نهمننا، فشوق في ضيف المفكر واضح تمام الموضوع، ولكن شوقي ضيف الإنسان في بيته مع اولاده، في عاداته وتقاليده، في عواطفه بكل مدلول الكلمة، كل هذا أسدل عليه ستورا كثيفة، وحجبه عنا، كأنه يراه نوعا من الخصوصية، قد لا تفيد الناس، أو نوعا من الضعف البشري لا يليق بالكبار، أو هو نتيجة النشأة الريفية التي تعتبر الحديث عن الأسرة لا يليق، ولكن كل هذا لا يفتح القارئ، فلمسة حنان هنا، ولمسة أبوة هناك، وأسلوب حياة في طرق التهوي للكتابة، أو في الترويح عن النفس من خلال الحياة اليومية، كانت كفيلا بأن تزيد السيرة إمتاعا وخصوصية وتشويقا.

وبحكم تخصصه يدرس د. محمود علي مكي الأندلس في نتاج شوقي ضيف "يعرف بجهوده المختلفة في العديد من كتبه التي تعرض فيها للأدب الأندلسي، مثل الفن ومذاهبه في الشعر العربي" و"الفن ومذاهبه في النثر العربي"، وبالكتب الأندلسية التي حققها وشرحها وقدم لها مثل كتاب "الرد على النحاة" لأبي مضاء القرطبي، و"المغرب في حلي المغرب" لابن سعيد الأندلسي، لينتهي ب"عصر الدول والإمارات" وهو المجلد السابع من مجموعة تاريخ الأدب العربي، ليرى أنه الكتاب الذي توج به شوقي ضيف جهوده في ميدان الدراسات الأندلسية، ويضيف:

"لسنا نبالغ إذا قلنا إن هذا الكتاب هو أجمع كتاب في تاريخ الأدب الأندلسي صدر حتى الآن، صحيح أن محاولات عديدة سبقته إلى ذلك ولكنها محاولات كانت مقصورة: إما على عصر من عصور هذا الأدب، أو على ظاهرة من ظواهره أو شخصية من شخصياته، أما الكتاب الجامع المجلد لتاريخ الأدب الأندلسي هو أول ما يعالج هذا الميدان ويسد الفراغ في مكتبتنا الأدبية حوله.

والكتاب يلتزم بالمنهج نفسه الذي اتبعه شوقي ضيف في كتب مجموعته، فهو بدأ بفصلين تمهيديين، الأول عن الأحوال السياسية والاجتماعية للبلاد، والثاني عن الثقافة بوجه عام، وفيها يقدم لنا خلاصة محكمة لأوضاع الأندلس في هذه الميادين. والفصل الثالث دراسة مجملية للشعر والشعراء، وفيه يتحدث عن تعريب الأندلس وخصوصية بيئتها الشعرية، ثم يختص بدراسة الفنون اللذين كانا من ابتكار الأندلسيين وهما الموشحات والأزجال.

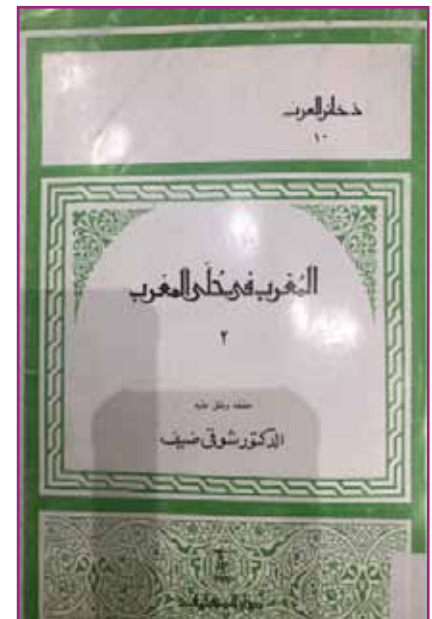
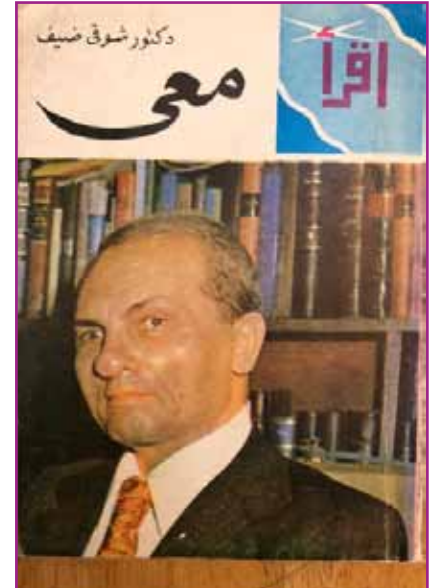
وعن منهج شوقي ضيف في الدراسات الأدبية، يكتب د. يوسف حسن نوفل، فيمهد لبحثه بمحاولة التعرف على مناهج الباحثين السابقين والمعاصرين لشوقي ضيف، كرفاعة رافع الطهطاوي، والشبيخ حسين المرصفي، وحفني ناصف، وجورجي زيدان، وطه حسين، والزيات، وأحمد أمين، ومحمد خلف الله أحمد، وغيرهم.. ثم يقول:

"إن في تأمل مكتبة شوقي ضيف بمجالاتها المتعددة ما يستوقفنا على حقيقة مهمة هي صدوره عن نظرية أمن بها من قبل وطبقها في بحثه: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، والفن ومذاهبه في النثر العربي، وما زال يعود

عليه أو عاصره - رجل عفيف نظيف. لم يشغل نفسه إلا بالعلم وبناء العلماء، ومن عجب أن قلبه الأبيض لم يعرف الحد أو الضغينة، ولم يحاول يوما أن يسيء حتى إلى من أساء إليه، ولم يطمع في منصب، ولم يسع إلى وظيفة أو شهر.

### الموشحات والأزجال

إذا كان كتاب "معي"، وهو السيرة الذاتية لشوقي ضيف، هو المصدر الرئيسي الذي اعتمد عليه د. طه وادي في سرد وقائع حياته، فإن الكتاب نفسه كان موضوع الدراسة الثانية من القسم الأول من كتاب "سيرة وتحية"، كتبها د. ماهر حسن فهمي، عميد كلية الإنسانيات وأستاذ الأدب الحديث بجامعة قطر، وهو بالمناسبة ليس من تلاميذ شوقي ضيف المباشرين، لأنه من خريجي كلية الأدب بجامعة الإسكندرية سنة ١٩٥٠، وقد أشرف على رسالتيه للماجستير والدكتوراة الأستاذ الراحل د. محمد محمد حسين أستاذ الأدب الحديث هناك. ولكن هذا لا يمنع من أنه تتلمذ على شوقي ضيف بصورة غير مباشرة ككل المشتغلين بالدراسات العربية، أي عن طريق مؤلفاته العديدة الخصبة. وبعد أن يستعرض د. ماهر حسن فهمي سيرة شوقي ضيف الذاتية التي نشرها في كتاب من جزأين بعنوان "معي"، ويتوقف وقفات غير قصيرة عند فقرات عديدة يستخلص منها دلالات خاصة في فهم الشخصية صاحب السيرة ومسيرة حياته، ينتهي إلى القول: «هكذا توقف القلم بعد مسيرة طولها خمسة وسبعون عاما، تمثل القرن العشرين فكرا وثقافة وسياسة وتربية وتجارب من خلال رحلة فرد متميز، يعرضها عرضا أدبيا، يتوقف ويتأمل حينما، ويسرع الخطى حينما أضر، ويستخلص العبرة في كل الأحيان، يمزج بين التركيب والتحليل في البناء، ولكنه لا يعرض





# غواية شوقي ضيف

علي حسين

## د

في مراهقتي كنت أعاني من الفضول ، فما أن أرى احد الزبائن يشتري كتابا ما ، حتى ابدأ بتقليب صفحات الكتاب لاكتشاف السر وراء اختيار الزبون لهذا الكتاب بالذات ، وهذا الفضول الذي لا يزال يرافقتني ، أغواني بقراءة الكثير من الكتب في مجالات متعددة ، وكنت صباح كل يوم أنظر الى رفوف الكتب واسأل نفسي : هل سيأتي يوم أقرأ جميع هذه الكتب ، وهي أمنية من المستحيل ان تتحقق . يكتب أميرتو إيكو : «تزرخ المكتبات الجيدة بملايين الكتب، ولو افترضنا أننا نريد قراءة كتاب كل يوم، فهذه ٣٦٥ كتابا في العام، ولو فعلنا ذلك على مدار ١٠ سنوات، فسنقرأ حوالي ٣٦٥٠ كتاب، ولو تسنى لأحد أن يفعل ذلك من سن العاشرة حتى الثمانين، فسيكون قد قرأ ٢٥٠٢٠٠ كتاب وحسب. » .. وبسبب مراهقتي للزبائن اكتشفت ان هناك كتبا يتجدد الطلب عليها مع مرور الأيام ، فديوان المتنبي وروايات نجيب محفوظ وكتاب ملحمة كلكامش و أيام طه حسين وعشرات من العناوين التي لا تسعفني الذاكرة لاستحضارها الآن كانت على قائمة الكتب الأكثر مبيعا ، وكنت اجد الأمر معقولا جدا بالنسبة لروايات نجيب محفوظ ودواوين نزار قباني ، لكنه غريب عندما ينفذ من المكتبة كتاب بعنوان «العصر الجاهلي» ، وكان الكتاب أحد اجزاء سلسلة تتناول تاريخ الأدب العربية كتبها مؤلف اسمه «شوقي ضيف» ، قال لي العلامة علي جواد الطاهر وانا اسأله عنه انه احد أبرز تلامذة طه حسين ان لم يكن الأقرب اليه ، و اضاف الطاهر ان طه حسين كان مشرفا على رسالة الدكتوراه التي قدمها شوقي ضيف عام ١٩٤٢ بعنوان «الفن ومذاهبه في الشعر العربي» ، وقد نشرها في كتاب عام ١٩٤٣ وكتب مقدمته طه حسين ، ويتذكر شوقي ضيف ان يوم مناقشة رسالته كان اشبه بمهرجان ادبي حيث ازدهرت قاعة كلية الآداب بكثير من الطلبة والجمهور : «حتى لم يبق فيه مكان لقدم . وفي أثناء تخييص الشاب لرسالته حانت منه التفاتة ، فوجد آباء الشيخ واقفا مع عشرات من الطلاب مكدمسين في مدخل المدرج ، ولم يكن احد آباء بيوم امتحانه ، غير ان آباء قرأ الخبر عنه في الصحف صباحا ، فسافر الى القاهرة توا ، واتجه الى الجامعة ، ليسمع ابنه - شوقي ضيف (معي سيرة ذاتية) - قلت للدكتور الطاهر ان الكتاب موجود ، ونهيت باتجاه الرف الذي يحوي كتب شوقي ضيف تناولت الكتاب من الرف ، واصبت بالدهشة حين قرأت على الغلاف الطبعة الحادية عشر وتاريخ الصدور عام ١٩٧٧ .

اكمل الطاهر حديثه قائلا ان قراءة شوقي ضيف مهمة لكل من يريد أن يتذوق الادب العربي عبر عصوره المختلفة لأنه يقف طويلا عند النص الأدبي ويكشف من آياه مستعينا بما حول النص وما مر به الأديب من ظروف في بيئته . كانت نصيحة الطاهر اشبه بغواية لأن أرافق شوقي ضيف ، وكانت البداية مع «الفن ومذاهبه في الشعر العربي» ، وقد جدت نفسي وانا اقرأ الكتاب كاني أسافر في رحلة ممتعة الى ازمنا عاش فيها العباس بن الاحنف وزهير بن ابي سلمة والمتنبي والبحريري والمعري وابي نواس وابو فراس الحمداني ، واسماء كنت أخشى الاقتراب منها ، فاذا بشوقي ضيف يقدمها لي بكل سحرها وبلاعتها ، وشعرت وانا الشاب المراهق بفتنة اكتشاف شيء جديد ، أتذكر ان الوقت مضى سريعا ، كانت شخصيات كتاب شوقي ضيف تنطوي ملامحها على ذلك الجمال الأخاذ الذي يراود أحلام فتى مراهق مثلي ، وكانت سطورها تأخذ بيدي لتدلني على غواية جديدة في القراءة اسمها «التراث» ، وقد اكتشفت بعد ان قرأت موسوعة شوقي ضيف «تاريخ الادب العربي» باجزائها العشرة والتي تبدأ بالعصر الجاهلي وتنتهي

بعصر الدول والامارات ان «الناطقة الذيباني» معاصر لنا مثله مثل ارغون او بودلير خصوصا في الدائرة الانسانية التي تجعل من معاناته معاناتنا ، مثلما تجمع الاشواق بيننا وبين عمر بن أبي ربيعة ، وان أصداء الحكمة التي ينقلها لنا المتنبي لا تقل أهمية عن ما قرأناه عند حكماء اليونان .

شوقي ضيف الذي جاء من الأزهر الى كلية الآداب بقرار أصدره طه حسين عميد كلية الآداب عام ١٩٢٩ اتاح من خلاله الفرصة لمجموعة درسا العلوم الدينية وعلوم العربية ان يتابعوا الدراسة في كلية الآداب قسم اللغة العربية «شوقي ضيف (معي سيرة ذاتية) - ليبدخل عام ١٩٣٠ الجامعة ، وكان قرار طه حسين ان هؤلاء الطلاب عليهم قبل دخول الجامعة تعلم لغة اجنبية واختار شوقي ضيف ان يتعلم الانكليزية و اضاف اليها الفرنسية ، الطالب الأزهرى سيفاجا بالإنسانات يتمشين في أروقة الجامعة بعد ان فتح رئيس الجامعة «احمد لطفي السيد» الأبواب لهن ، فكانت سهر القلماوي أول زميلة لشوقي ضيف في كلية الآداب . وسجد طالب الأزهر الذي درس القرآن وعلومه في طه حسين خريج السوربون والمغرب بابي العلاء نموذجاً يهتدي به في مسيرته العلمية ، فمثلما تنوعت كتابات طه حسين ، فان مؤلفات شوقي ضيف كانت من التنوع والتعدد لتثير اعجاب وابهار كل من اطلع عليها قارئاً او دارساً ، ولعل ما انجزه شوقي ضيف يعد حالة نادرة ربما لن تتكرر في تاريخ الدراسات الادبية ، فقد اصدر اكثر من ٦٠ مؤلفاً ومعها عدد من الكتب المحققة اضع اليها كتب عن فنون الادب وسيرة ذاتية بجزئين بعنوان «معي» ، وربما اكبر انجاز حققه شوقي ضيف هو موسوعته «تاريخ الادب العربي» حيث يعد هذا الكتاب اليوم اكمل تاريخ نعرفه عن الادب العربي في عصوره المختلفة ، مركزاً فيه على الجوانب التاريخية التي ادت الى تطور الادب العربي وتحولاته من عصر الى عصر ، وتتوالى خصائص هذا الادب في كل عصر حيث يؤكد ان الشعر العربي في عصوره الاولى بدأ بمرحلة الانطباع لينتقل بعدها الى مرحلة الصنعة ثم الى مرحلة التصنيع واخيرا التصنع الذي ادى بحسب رأيه الى انحدار هذا الشعر هذا الراي يجعل منه من اشد الرافضين لمدرسة الشعر الحر . شوقي ضيف الذي طبق صيغته الرباعية لمراحل الشعر في كتابه الاول «الفن ومذاهبه في الشعر العربي» يكملها فيما بعد في كتابه «الفن ومذاهبه في النثر العربي» الذي صدر في الخمسينيات . يتذكر شوقي ضيف ان اول مقال نشر له في مجلة الرسالة كان دفاعا عن منهج استاذ طه حسين في النقد ، بعد ان تعرض طه حسين عام ١٩٣٤ الى هجوم بسبب مناداته بمنهج جديد في قراءة القصيدة ، ولم يصدق الطالب البالغ من العمر آنذاك «٢٤ عاما ، ان اسمه سيوضع الى جانب احمد امين والعقاد ودريني خشبة والزيات وطه حسين ، بعدها بشهر يظهر مقاله منشورا في مجلة الرسالة بعنوان «ماهية الشعر» سيلقى المقال اهتمام طه حسين الذي قال لتلميذه ان لديه اسلوبا رصينا ، وكان الطالب شوقي ضيف آنذاك مغرما بالجاحظ وبروعة اسلوبه ويؤمن بالعبارة التي قالها الشاعر الفرنسي بول فاليري «الاسلوب هو الرجل» . بعد سنوات من رفقتي لكتب شوقي ضيف اعترف انني تلميذ عن بعد في مدرسته التي لا يفلت احد من المنتسبين اليها من غواية قراءة التراث ، استمتعا وتذوقا ، ويقدر ما علمتني كتب طه حسين كيف افهم الكتاب واحاول تأويله ، تعلمت من شوقي ضيف ومعه كتيبة من الكتاب امثال سهر القلماوي وعلي جواد الطاهر وعبد العزيز الأهواني وجمال الخياط ومن مقالات مدني صالح والاحاديث التي جمعتني معه ، كيف أجد المتعة في قراءة الشعر القديم ، ورغم المسافة بين قراءتي لشوقي ضيف ، وما وجدته عن في دراسات حديثة عن التراث والشعر العربي ، فان منعة القراءة الاولى للتراث والشعر من خلال شوقي ضيف لا تزال تجد لها مكانا في عقلي وتذوقي للتراث ، فغواية الحب الاول للشعر العربي الذي اكسبني اياها صاحب موسوعة «تاريخ الادب العربي» والذي وصفه تلميذه جابر عصفور بـ «الحالة النادرة من حالات الرهبة العلمية والتصرف الفكري والإخلاص الاكاديمي ، والدأب البحثي الذي قل نظيره - جابر عصفور الاحقفاء بالقيمة - لا اظنني ساتخلص منها يوما ، وارجوا ان يصاب بعدواها كل من يقع بيده كتاب تاليف شوقي ضيف الذي ندين له باشياء كثيرة ، وربما كان اولها انه جعلنا كقراء ندر ان الثقافة مسار واحد يمتد من القديم الى الحديث .



## د